إرجع

كالحصّة «الشيعية» في منظومة «6 و6 مكرّر». المفارقة أن فحص، الذي أكثر من مديح المحتفى بذكراه، انتزع من سعيد تفاعل الجمهور، الذي صفّق له مرات ومرات. على هامش كلام فحص، كان نائب رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي دريد ياغي يبدي إعجابه لسعيد بكلام فحص، فهو الآخر «6 و6 مكرّر» في حزب النائب وليد جنبلاط.

أما جديد 14 شباط، فشاب وشابة على المنبر، يخبران الجمهور عن تشوّقهما إلى الرئيس رفيق الحريري. فتح الشاب أوراقه ليقرأ منها ذكرياته: هو من العرقوب، ويتشوّق إلى مجدل عنجر في البقاع. طبعاً، لا يمكن أن يمرّ احتفال من هذا من دون تسويق «بروباغندا الضحيّة». يعلن عريف الحفل من جديد عن وثائقي قصير يتناول إنجازات الرئيس رفيق الحريري، ليظهر لاحقاً أن الفيديو ليس سوى مشاهد من أحداث 7 أيار، من دون مشاهد لمسلّحين في «يوم الغضب» عقب إقصاء الحريري الابن عن الحكومة، أو مسلحي عرسال وطرابلس والطريق الجديدة. حبّذا لو سمّي الفيديو «إنجازات سعد الحريري».

تعزيز الاعتدال بينهم. شعار «لَمِّيع» آخر. لكن أين برنامج العمل؟ إنه في التحالف الرباعي وفي رفض أي صيغة جدية للنظام الانتخابي النسبي، الذي وحده يتيح للشيعة الذين يعترف الحريري باعتدالهم أن يرفعوا صوتهم.

عودة إلى السلاح، على شعار «الجيش اللبناني وحده» يحتكر القوة. مرة أخرى، لا يلتفت الحريري إلى برنامجه الذي ظهر جلياً عندما كان فريقه ممسكاً بالسلطة، سواء في عهده أو عهد سلفه (السنيورة). حينذاك، كان تعامله مع الهبة العسكرية الروسية أبلغ دليل على شكل الدولة التي يريد الحريري وفريقه الساسي العبور إليها، وعلى القوة التي يرى أن الجيش يحتاجها للدفاع عن لبنان. فعندما عرضت موسكو تعزيز سلاح الجو اللبناني (أو وضع اللبنة الاولى له لأن لا سلاح جو في لبنان)، رحّب الحريري بها. سعى إلى تحويل الهبة شعاراً في وجه حزب الله. لكن التنصل من العرض الروسي لم يكن بحاجة إلى أكثر من همسة اميركية، وتربيتة على الكتف.

الهجوم الأعنف على حزب الله

في كلمته أمس، شن الحريري هجوماً عنيفاً على سلاح المقاومة وحزب الله، معلناً أنه «سيكون الى جانب 14 آذار في معركة الانتخابات المقبلة مهما كان القانون ومهما كانت التحديات واشتدت المخاطر». وأشار رئيس الحكومة السابق إلى أن تيار المستقبل بادر «إلى تقديم اقتراحات واضحة تقضي باجراء تعديلات دستورية تؤدي لالغاء الطائفية السياسية وانشاء مجلس شيوخ واعتبار اعلان بعبدا بشأن حياد لبنان جزءا من مقدمة الدستور، اما حصرية السلطة في يد الدولة اللبنانية ومؤسساتها فهي بيت القصيد في كلمتي اليوم».

وحمل الحريري على السلاح معتبراً أن «سلاح حزب الله وسراياه هو الخطر الأكبر، وحزب الله يرفض الاعتراف بهذا الامر». وبرأيه أن «كل لبناني قادر ان يرى ان المشكلة ليست خطأ قاتلا في عرسال بل المشكلة أن سلاحا قاتلا منتشرا في عرسال بحجة وجود دويلة اقوى من الدولة». ورأى الحريري أن «حزب الله مستعد لتقديم رشوة وزارية لرئيس الحكومة على حساب حصة الحزب، لقاء ان تتشكل حكومة لا تقترب من السلاح وهو مستعد لمجاراة حليفه ميشال عون بالقانون الارثوذكسي ليبقي البرلمان تحت سقف السلاح، وهو مستعد لأن يمرر تمويل المحكمة الدولية في الحكومة ويتناسى لوليد جنبلاط حملاته السابقة وموقفه من نظام الاسد لقاء ان يبقى السلاح خارج التداول». وأشار الحريري إلى أن الدولة «لا يمكن أن تعيش فوق غابة من السلاح غير الشرعي أي سلاح حزب الله وسلاح فتح الاسلام ومن هم على صورة فتح الاسلام».

ولفت الحريري إلى أن «المحكمة الدولية تتقدم والمجرمين سينالون العقاب عاجلاً أم آجلاً، هل يعقل ان يمنع حزب الله حتى اليوم تسليم المتهم بمحاولة اغتيال النائب بطرس حرب؟»، مشدّداً على أن «أي إنكار لوجود وظيفة مباشرة لسلاح حزب الله في الحياة السياسية اللبنانية هو انكار لجوهر المشكلة».

وعن الانتخابات، قال الحريري «سنحوّل الحلم الى حقيقة والخطوة الأولى هي الانتخابات النيابية التي نخوضها مع بعضنا ومع حلفائنا في 14 آذار ومع اللبنانيين المؤمنين بالدولة المدنية». وأضاف: «قدمنا مبادرة لكن مشروعنا لا يقف عندها... مشروعنا هو أن نعطي الشباب والشابات حق الانتخاب بعمر 18 سنة، وأن نعطيهم ببلدان الانتشار حق استرجاع الجنسية اللبنانية، وإعطاء المرأة اللبنانية مواطنيتها الكاملة بما فيها الحق أن تعطي أولادها جنسيتها». وأكد الحريري أنه سيعود إلى لبنان قريباً.

بهدوء

وماذا عن حزب الله؟

ناهض حتر

نشنّ، بلا تهيّب ولا التباس، حملة قطيعة سياسية وفكرية منهجية مع الإسلام السياسي. ونحن نرفضه مرتين، مرة لأنه يمثّل أداة تجديد الأنظمة الكولونيالية الكمبرادورية العربية، والسعي إلى تأبيد التخلّف واللامساواة والاستبداد، ومرة لأنه يصادر الله، ويستخدمه لبسط نوع محلي بشع من الفاشية. ولكن ماذا بشأن حزب يدعي بأنه «حزب الله»، ونواصل، مع ذلك، دفاعنا المثابر عنه؟

شكلياً، هناك تناقض في خطابنا؛ فما الذي يجعل حزب الله مختلفاً، من حيث الجوهر، عن الإخوان المسلمين والسلفيين بمختلف أصنافهم؟

لا يخفى، بالطبع، أن هناك اختلافاً يتعلّق، رئيسياً، بالمقاومة. الجوهري في حزب الله أنه حركة تحرير وطني. ولا نناقش، هنا، السلاحَ والحرب، بل السياسة والموقف. أعني أن حزب الله هو عضو أصيل في محور إقليمي ودولي، مضاد للإمبريالية والصهيونية، انطلاقاً من عقيدته السياسية المتمثلة في العداء لإسرائيل، بوصفها «شرا مطلقاً»؛ يقوده ذلك، شاء أم أبى، إلى علمانية واقعية تنفي أثره كحزب ديني. كيف؟ استراتيجية المواجهة المستمرة مع العدو الإسرائيلي، تتطلب، واقعياً، إقامة وتعزيز مروحة واسعة جدا من التحالفات مع السائرين، كلياً أو جزئياً، في الخط السياسي نفسه، سواء أكانوا سنّة أو علويين أو اسماعيليين أو دروزا أو مسيحيين أو شيوعيين أو يساريين أو قوميين الخ، ومع الدول، سواء أكانت مسلمة أم لا، اسلامية أم علمانية. هذه الحاجة الموضوعية ـ التي تفرضها أولوية الصراع مع إسرائيل ـ إلى التحالفات، تفرض على حزب الله، في تناقض موضوعي مع ادعاء الاسم، القبول الضمني ـ أقله في الممارسة ـ بمشاعيّة الله الذي لا يقبل، بطبيعته المطلقة، أن ينحاز إلى حزب أياً كان. هنا، يغدو الله، إذاً، محفّزاً داخلياً على احتمال أعباء المقاومة، لا أداة للحزب والمقاومة في مواجهة الآخرين. يمكننا القول، بالنتيجة، إن حزب الله، ربما على الضد من فكرته الأولى، هو الحزب الذي يستعين بالله لكي يقاوم. وهذا حق له، بينما ليس من حقه، أو حق سواه، أن يدّعي المقاومة باسم الله، ومن أجل فرض تصوّر واحد للعلاقة مع الله.

ولإنارة هذا التعقيد، نستحضر مثالاً مضاداً هو تنظيم حماس الإخواني؛ فالعقيدة الجوهرية لدى حماس، كما بينت التطورات، ليست العداء لإسرائيل بوصفها الشر المطلق، وإنما التمكين للسلطة الإخوانية القائمة على احتكار الله وكبس المجتمعات في قالبها. والشاهد أنه حالما ظهرت تباشير التمكين، حتى انقلبت حماس على مركز خط المقاومة، دمشق، موجهةً الطعنات إلى ظهر الحليف السوري، ومندرجة في حلف إخواني إقليمي يضم قَطر الإسرائيلية وتركيا العثمانية والنظام المصري الإخواني الذي قام على منح الشرعية الإسلامية لمعاهدة كامب ديفيد مع تل أبيب. وفي السياسة، ينتهي هذا المسار، حتماً، إلى اسباغ الشرعية الإسلامية على اتفاقيات أوسلو، والذهاب إلى استكمالها في صفقة جديدة.

مات حافظ الأسد.. ولم يوقّع. هذه هي ميزته الخالدة. الرئيس السوري الكبير، الحليف الأول لحزب الله، كان علمانياً صريحاً، وسوريا المقاومة، التي أبى حزب الله أن يغادر موقعها، ليست اسلامية، بل هي جمهورية علمانية، يؤكد رئيسها، بوضوح، أنه يخوض معركة الدفاع عن العلمانية والقومية العربية ضد الإسلام السياسي.

في درس الفلسفة، نتعلم أنه لا علاقة عليّة بين الدين والأخلاق، بل نتعلم أن الانحياز الديني مضاد للأخلاقية. فالانحياز ذاك حصريٌ والأخلاقية مطلقة، ما يفسّر انفلات المتدينين المتعصبين من كل القيود الأخلاقية إزاء «الأغيار»، كذباً وغدراً واستباحة وذبحاً واغتصاباً الخ مما وجدناه، ونجدّه، في ممارسات الإخوان والسلفية والكتائب والقوات الخ. فمن أين أتى حزب الله بهذه الدرجة الملحوظة من التشدد المناقبي في التعامل مع الحلفاء والخصوم، كما أثبت، مراراً وتكراراً، في سلوكه الميداني في المقاومة والتحرير والأزمات الداخلية، وأخيراً، لا آخراً، في وفائه الاستراتيجي، لدمشق العروبة. إجابتي واضحة: من علمانيته الواقعية؛ فالعلمانية هي شرط لازم ـ ولكنه غير كاف بالطبع ـ للأخلاقية.

لمَ كان ـ أو للدقة: صار ـ حزبُ الله، كذلك؟ ألأنه شيعي يتمثّل علياً المبدئيّ المناقبيّ، والحسينَ الفدائي، وتقليدَ التشيّع المعارض والثوري؟ هذا مجرد خيط داخلي لا ننكره من خيوط النسيج، لكننا عرفنا أحزاباً شيعية لا تختلف، جوهرياً، عن الإخونجية والسلفية، سواء أفي براغماتيتها السياسية أم في همجيتها مع «الأغيار». حزب الله كذلك، لأنه لبناني مقيّدٌ، بسبب تركيبة لبنان المعروفة، باستحالة احتكار السلطة، ولأنه يمثّل جماعةً لبنانية سحقت تاريخياً، وكان شرط تحررها الذاتي ونهوضها الاجتماعي، وما يزال، هو الصدام مع إسرائيل.

صمت القبور في ضريح يفتقد الورثة

ميسم رزق

مازن الذهبي. عمر المصري. زياد طراف. محمد درويش. محمد غلاييني. طلال ناصر ويحيى العرب. لهؤلاء الشهداء أضرحة خلف ضريحي الرئيس رفيق الحريري واللواء وسام الحسن ورفيقه. هؤلاء أيضاً أسقطهم انفجار 14 شباط 2005 تحت الركام، لكنهم، على عكس الآخرين، ماتوا بصمت. لم يحتج إليهم الصراع السياسي، ولا ضجيج الفراغ. لا تقام لهم المهرجانات ولا ذكرى سنوية، إذ لم تكُن فرص الزعامة أمامهم مفتوحة، ولا دروب الرخاء سالكة، لكنهم حظوا بعوائل أبت الا أن تجدّد الحزن على فراق أبنائها، تئن لافتقادهم، فيما لم يحظَ الرئيس الشهيد بلقاء عائلته المهاجرة. واكتفى الورثة بباقات ورود بيضاء موقعة بأسمائهم كالغرباء، كما فعل رئيس حزب الحوار الوطني فؤاد مخزومي وآخرون.

لكنّ هذا الغياب العائلي، عوّضه مناصرو تيار المستقبل، ومحبّو «الرفيق». فإلى احتفال أقامته منسّقية بيروت أمس عند الضريح، حضر عدد لا بأس به من جمهور العلم الأزرق. ورُغم أن أزرار «الشهيد» لم تُعلّق بكثرة على صدور الزائرين الذين أتوا تجديداً للوعد، كان واضحاً في الاحتفال الذي لم تُلقَ فيه كلمة واحدة، أن أكثر من يذكر مرارة الذكرى هم من عامة الشعب. فلا نائب 14 آذاري حضر إلى المكان، ولا وزير سابق دفعه شاله الممزوج باللونين الأحمر والأبيض إلى زيارة الخيمة. باستثناء النائب السابق مصطفى علّوش وعدد من منسقي المناطق، وكوادر وشباب عاملين في التيار.

> الغياب العائلي عوضه مناصرو تيار المستقبل ومحبو «الرفيق»

في وجوه القادمين والمغادرين تأثر خجول، لم يُلهبه خطاب يُطرب الآذان بسيرة الراحل ولا إنجازاته. أكثرهم شُغل بأحاديث جانبية سياسية واجتماعية. ومنهم من عاب على جمهور التيار تقاعسه عن الاحتفال بالذكرى في مختلف مناطق بيروت، كما فعل أهالي الطريق الجديدة. لا أسرع من حجّة يستنجد بها بعض الحاضرين للقول إن «جمهور الفريق الآخر يمنعهم من تعليق صورة أو شعار»!

14 شباط 2013. زيارة الضريح لا تشي بجهود جبارة لإحياء «الثورة»، انما مبادرة فردية دفعت بجمهور الحريري للمشاركة. في الخيمة، وحدها الصور بقيت مكانها. لا تُزنّرها الشموع، ولا صوت قرآن مسموع، ولا كلمات للرئيس تصدح كالمعتاد. لا هتافات ولا صراخ. بهدوء، تُنزل الباصات الآتية من الشمال والبقاع وطرابلس وعكار وصيدا ركابها. وبهدوء أيضاً، تعيدهم إلى حيث أتوا، بعدما لبوا الواجب السنوي، تاركين خلفهم أرواح شهداء تُعيد السياسة قتلها يومياً... وكتيّباً لنظام محكمة دولية فشلت في تحويل «حلمهم إلى حقيقة»!